عروض الرسائل العلمية

ديموغرافيا التحالفات القبلية في منطقتي وسط وجنوب ولاية طرابلس الغرب في عهد يوسف باشا القرمانلي من (١٧٩٥ – ١٨٣٢ م) " الأسباب والخلفيات التاريخية " *

إعداد: فاطمة علي المهدي

يمثل المجتمع القبلي في إيالة طرابلس الغرب، أحد الأعمدة الرئيسة في تشكيل البنية السياسية والاجتماعية عبر قرون طويلة، حيث تداخلت العوامل السكانية والثقافية والاقتصادية لتنتج نسيجاً اجتماعياً متماسكاً.

وفي عهد يوسف باشا القرمانلي، برزت القبائل كفاعل أساسي في توازن السلطة، إذ اعتمد عليها بشكل كبير لضمان الاستقرار السياسي والسيطرة على مناطق الإيالة، ضمن إطار واسع من التحالفات القبلية التي جمعت بين المصالح الاقتصادية والأمنية والسياسية، مدعومة بروابط النسب والمصاهرة.

لقد شكّلت هذه التحالفات ضماناً لبقاء يوسف باشا في الحكم، حيث وظّفها لتوسيع نفوذ أسرته وتعزيز قوتها العسكرية والاقتصادية، مدعوماً بأسطول بحري قوي فرض الإتاوات على السفن العابرة. غير أن العقدين الأخيرين من حكمه شهد أزمات اقتصادية وسياسية متفاقمة، خاصة بعد توقف بعض الدول الأوربية عن دفع الإتاوات البحرية، مما اضطره إلي فرض ضرائب إضافية علي الأهالي.

ومع تصاعد التحديات، أعادت القبائل تنظيم تحالفاتها بما يضمن مصالحها في مواجهة السلطة المركزية أو التعاون معها عند الضرورة، لتتحول إلي بُني ديناميكية أكثر شمولاً، وتصبح محدداً رئيسياً لبنية السلطة، خصوصاً مع بروز ظاهرة " صف البر" و " صف البحر " التي مثّلت محوراً للصراع والتوازن بين الساحل والداخل.

---

*فاطمة علي المهدي (2024) ديموغرافيا التحالفات القبلية في منطقتي وسط وجنوب ولاية طرابلس الغرب في عهد يوسف باشا القرمانلي من (١٧٩٥ – ١٨٣٢) " الأسباب والخلفيات التاريخية " / إشراف أ.د مصطفى أحمد صقر، قسم التاريخ/ الأكاديمية الليبية (رسالة ماجستير غير منشورة).

تأتي أهمية هذه الدراسة من تركيزها على مناطق الوسط والجنوب، التي غالباً ما أهملتها الأدبيات السابقة لصالح الساحل والمدن الحضرية، رغم أهميتها الاستراتيجية كمعابر للقوافل التجارية، ومجال نفوذ لقبائل ذات تأثير ممتد، من هنا تسعي الدراسة إلي سد فجوة معرفية عبر تحليل ديناميكيات تلك المناطق ودورها في صياغة التوازنات السياسية والاجتماعية، بعيداً عن المركزية الساحلية.

لهذا **هدفت الدراسة** إلي تحليل ديموغرافيا التحالفات القبلية خلال حكم يوسف باشا ، و إظهار دور القبائل في صياغة المشهد العام للإيالة ، وتأثيرها المباشر علي مصير الأسرة القرمانلية ،واعتمدت الدراسة علي المنهج التاريخي التحليلي ، القائم علي استقصاء المعلومات من المصادر التاريخية الأولية والثانوية وتحليلها ، ومقارنتها للوصول الي استنتاجات دقيقة ، مستندة علي الوثائق القنصلية، والمراسلات الرسمية ، وكتب الرحالة ، و المصادر المحلية ، إضافة إلي مقارنتها بالدراسات السابقة لتحقيق أهدافها في الإشكالية المتمثلة في : محاولة فهم الاليات التي أسهمت في تشكيل ديموغرافيا التحالفات القبلية في منطقتي وسط وجنوب إيالة طرابلس الغرب خلال حكم يوسف باشا القرمانلي ، وتحولها إلي صفوف ذات طابع سياسي (صف البر، صف البحر ،الصف الفوقي)، إضافة إلي تحليل الظروف الموضوعية التي جعلت هذه التحالفات تكتسب حضورا مؤثرا في مواجهة السلطة المركزية ، وما يندرج منها من التساؤلات الفرعية وهي :

١ – ما السمات و كيفية تأثير الظروف السياسية والاقتصادية علي نشوء التحالفات القبلية ؟

٢ –ما طبيعة تشكّل صف البر وصف البحر وعلاقتهما بالدولة المركزية؟

٣ – ما تأثير الموقع الجغرافي لمنطقتي الجنوب والوسط في رسم خطوط النفوذ القبلي؟

٤ – كيف تفاعلت القبائل مع سياسات يوسف باشا وآثار هذه التحالفات علي بنية الإيالة ؟

استندت الدراسة علي فرضية رئيسة مفادها أن : القبيلة لا تستطيع ضمن بيئتها الجغرافية والاجتماعية، مواجهة التحديات منفردة ، مما يدفعها إلي الدخول في تحالفات متغيرة تبعاً للظروف. وانبثقت عن هذه الفرضية العديد من الفرضيات الفرعية منها :

١ – التحالفات القبلية لم تكن بني ثابتة ، بل شبكات ديناميكية تخضع لمعادلات القوة والمصلحة.

٢ – سياسات يوسف باشا أسهمت في إعادة توزيع موازين القوي بين القبائل مما ولّد صفوفاً متعارضة .

٣ – التحولات المالية والدولية في عقدي حكم يوسف باشا الأخيرة ، كانت المحرك الأساسي لظهور التحالفات المضادة .

٤ – جغرافيا الوسط والجنوب كان لها دوراً حاسماً في صياغة تحالفات ذات امتداد اقتصادي وعسكري.

ولعل ما يميز هذه الدراسة انها لم تكتفِ بتحليل الوثائق فقط، بل عمدت إلي مقارنتها بنتائج لدراسات سابقة عالجت موضوعات مشابهة منها:

١ – كتاب: علي عبد اللطيف حميدة، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا ١٨٣٠ – ١٩٣٢ ، ط٢ ، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٨ م) ، ففيه تم التركيز علي المدن والساحل ولم يدرس الوسط والجنوب بعمق ، ويعالج الصفوف كجزء من المجتمع والدولة ، دون التركيز علي الصفوف كآلية إنتاج السلطة .

٢ – دراسات: عقيل محمد البربار، دراسات في تاريخ ليبيا الحديث ، ط٢ ، (طرابلس : دار الحكمة ، ٢٠٠٩ م) ، ففي دراسته حول الصفوف قدم سرداً تاريخياً غالباً ثابت ، ودون تحليل تطوري أو ديناميكي للصفوف ، ويصف القبائل وتحالفاتها دون ربط التحالفات مباشرة بالاستقرار السياسي .

٣ – مقال : لطارق لعجال ، القبيلة والدولة في تاريخ ليبيا الحديثة قراءة خلدونية لتطور الدولة الليبية في العصر الحديث ١٧١١ – ٢٠١١ ، مجلة المعيار، العدد ١٩ ، أكاديمية الدراسات الإسلامية ،جامعة ملايا، هو مقال يغطي فترة زمنية طويلة و يركز علي وصف القبائل وتوزيعها ، مع التركيز النظري علي السلطة والدولة ، وليس تحليل ديموغرافي ،ويري ان القبيلة ككيان سياسي – اجتماعي يتفاعل مع الدولة ، ولا يتناول صفوف البر والبحر أو التحالفات القبلية الداخلية بشكل مفصل ، وكونها ليست مجرد خلفية اجتماعية ، بل تصنع استقراراً أو فوضي سياسية .

وهناك العديد من الدراسات التي توفر إطاراً نظرياً وتحليلياً ساهم في دعم أجزاء من الدراسة (خصوصاً في تحليل القبيلة ، الدولة، الولاءات ، التحالفات) ، ولكن موضوع صفوف البر والبحر وتحالفاتهم في زمن يوسف باشا ليس من الدراسات الرئيسة في هذه الدراسات الحديثة ، وهنا كانت الإضافة المهمة في هذه الدراسة ، إذا ربطت الإطار النظري المعاصر (دراسات القبيلة والدولة) بتحليل تاريخي للفترة القرمانلية بطرق منهجية أكثر تقدماً .

والدراسة تتميز عن الادبيات السابقة في عدة جوانب منهجية وتحليلية تجعلها إسهاماً أصلياً في فهم تاريخ إيالة طرابلس خلال حكم يوسف باشا القرمانلي منها:

١ – تحلل الدراسة الصفوف بوصفها تحالفات اجتماعية – سياسية ديناميكية متغيرة عبر الزمن، و تتحرك وفق المصالح الاقتصادية والسياسية والموارد المتاحة، بما في ذلك القوافل، والمراعي، والواحات.

٢ – توسع الدراسة نطاق التحليل الجغرافي لتشمل المناطق الوسطي والجنوبية ، التي تمثل ثقل القبائل الداخلية ، وتوضح دورها في تشكيل توازن القوي ، وهو جانب غالباً ما غاب في الأدبيات السابقة .

٣ – الدراسة تقدم إطاراً تفسيرياً جديداً يري الصفوف ليست مجرد تقسيم اجتماعي أو جغرافي، بل آلية إنتاج للسلطة واستقرار النظام السياسي، حيث تتحكم التحالفات القبلية في إعادة تشكيل الخارطة السياسية والاجتماعية للإيالة وتوازن القوي بين الداخل والساحل .

اذن توفر الدراسة قراءة تجمع بين البعد التاريخي والسياسي والاقتصادي والديموغرافي والجغرافي للصفوف، مع أدوات تحليلية حديثة، لتفسير دور القبيلة والتحالفات القبلية في إنتاج الاستقرار السياسي أثناء حكم يوسف باشا، وهذه إضافة نوعية إلى الأدبيات الليبية الحديثة.

وقد توصلت الدراسة إلي مجموعة من النتائج الأساسية أبرزها :

١ – أن دراسة ديموغرافيا التحالفات القبلية خلال عهد يوسف باشا ، ضروري لفهم التاريخ السياسي والاجتماعي لإيالة طرابلس الغرب.

٢ – جغرافيا منطقتي وسط وجنوب الإيالة كان لها دوراً حاسماً في صياغة تحالفات ذات امتداد اقتصادي وعسكري.

٣ – أن الصفوف القبلية لم تكن مجرد تقسيم اجتماعي ، بل آلية لإنتاج السلطة وإدارة الصراع .

٤ – عائلة سيف النصر مثلت القوة الأبرز في مواجهة الدولة القرمانلية عبر صف البر.

٥ – أظهرت الدراسة أن هذه التحالفات لم تكن مجرد أدوات تقليدية لإدارة الشؤون القبلية ، بل كانت فاعلاً سياسياً واقتصادياً مؤثراً في صنع التوازنات داخل الإيالة ، وفي تحديد علاقتها مع القوي الخارجية .

٦ – الصفوف القبلية لم تكن مجرد تجمع عشوائي، بل كان نظاماً سياسياً متطوراً قادر علي إدارة الصراعات وتنظيم المصالح وتوزيع الموارد ، بما يحقق قدراً من الاستقرار والأمن في المناطق الداخلية

واخيراً توصلت الدراسة الي مجموعة من التوصيات والمقترحات من أهمها:

١ – إعادة قراءة تاريخ منطقتي وسط وجنوب الإيالة باعتبارهما فاعلاً أساسياً لا هامشاً تابعاً، وإنشاء قواعد بيانات ديموغرافية للقبائل الكبرى وربطها بالتاريخ السياسي.

٢ – تفعيل البحث الميداني لجمع الرواية الشفوية قبل اندثارها.

٣ – إعادة النظر في دور التحالفات القبلية في تشكيل الدولة الليبية الحديثة.